قدم بغداد في أول ولاية المستضيء، ووعظ بالنِّظامية، ونَصَرَ مذهب الأشعري، وبالغ في ذمِّ الحنابلة. وقال: لو كان إليَّ أمرٌ لوَضَعْتُ عليهم الجِزْية، [وكان شاباً حَسَن الصُّورة، مليح العبارة، فصيحاً ، فيقال: إن الحنابلة دسُّوا عليه من قتله أو سمَّه؛ جاءته][1] امرأةٌ في الليل ومعها صحن حلوى، فطرقت بابه [فقال: مَنْ؟][1] قالت: أنا امرأةٌ آكل من مغزلي، وقد غَزَلْتُ قطناً وبعتُه، واشتريت من ثمنه هذه الحلوى، واشتهيت أن الشيخ يأكل منه، فإنَّه حلال. فتناوله منها ومَضَتْ، فجلس يأكل هو وزوجتُه وولدٌ له صغير، فأصبحوا موتى جميعاً في رمضان، ودُفِن بباب أبرز.

وكان قد عدا في تلك الأيام ساعٍ للشِّيعة أسود، فخرجوا للقائه، فأنبط [ولم يجئ]، فضاقت صدورهم.

قال المصنف رحمه الله: فجلس جدِّي عقيب ذلك، وقال في أثناء كلامه: كم أبرق مبتدع بأصحاب أحمد وأرعد، فحظي بوباله وهُمْ بالعيش الأرغد، وأما أنت يا أبعد، فإنْ أردت تموت أو أردت تجرَّد، مات البروي وأنبط الأسود.

السَّنة الثامنة والستون وخمس مئة

فيها خَتَنَ الخليفةُ أولاده، فيقال: إنَّه ذبَحَ ألف رأس من الغنم وخمس مئة بقرة وخمسة آلاف دجاجة، وعمل ألف صحن حلوى، وعشرين ألف قطعة خُشْكنانك[2]، وخَلَعَ على جميع أربابِ الدَّولة والقضاة والعدول، والعلماء، والصُّوفية وغيرهم.

وفيها بعث صلاحُ الدِّين إلى نور الدين هديةً فيها فيل وحمار عتَّابي، فبعث بها نور الدين إلى بغداد، وخرج النَّاس لتلقيها، وتعجبوا[3] من خِلْقة الحمار.

[وكان بمحلة العَتَّابيين رجلٌ نحوي، قاصر في كل شيء، قد تعلَّق بطرف من النحو، وكان يدعي دعاوى عظيمة، فخرج مع الناس يتفرج، ورآه بعض الظراف: فقال: يا

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) نوع من الفطير المصنوع من الزبد والسكر والجوز أو الفستق ويكون على هيئة الهلال، انظر «المعرب»: ١٣٤، ودوزي: ١/ ٣٧٣.

(٣) في (م): وعجبوا.

قوم، ليس العجب أن يحمل الفتى حمارٌ عتابي، عندنا عتابي حمار[١]. فضحك الناس][٢].

وفيها سار نورُ الدِّين إلى المَوْصل، وصلَّى في الجامع الذي بناه وسط البلد، وتصدَّقَ بمالٍ عظيم، ولما علم صلاح الدِّين أَنَّ نورَ الدين [قد][٢] توجَّه إلى المَوْصل خرج بعساكر مصر إلى الشَّام، فحصر الكَرَك والشَّوْبك، ونهب أعمالها، وكان جماعةٌ من العرب نازلين بأرض الكَرَك ينقلون الأخبار إلى الفرنج، وإذا غاروا على البلاد دلُّوهم على المسلمين، فنهبهم صلاحُ الدين، وقتل البعض، وأجلى من بقي منهم عن أرض الكرك، وكتب إلى نور الدين كتاباً من إنشاء الفاضل: سببُ إصدار هذه الخِدْمة إلى حضرة مولانا الملك العادل أعزَّ الله سُلْطانه، ومكَّن بالنَّصر إمكانه، وشيَّد بالتأييد مكانه، ونَصَرَ أنصاره، وأعان أعوانه، عَلِمَ المملوك بما يؤثرُه المولى من قَصْدِ الكُفَّار بما يَقُصُّ به أجنحتهم، ويحصُّ[٣] به أسلحتهم، ويقطع موادَّهم، ويخرِّبُ بلادهم، ومن أكبر الأسباب المعينة لهم على ما يراد منهم أن لا يبقى في بلادهم أحد من العُرْبان، وأن ينتقلوا من ذُلِّ الكُفْر إلى عِزِّ الإيمان، ومما اجتهد فيه غاية الاجتهاد، وعَدَّه من أسباب الجهاد ترحيل كثير من أنفارهم، والحرص على تبديل ديارهم بحيث إنَّ العدوَّ إذا نَهَضَ اليوم لا يجد بين يديه دليلاً، ولا يستطيع حيلة، ولا يهتدي إليه سبيلاً، [وهو «كتاب طويل»][٢].

ثم عاد صلاح الدِّين إلى مِصْر.

وقيل: هي أوَّل غَزَاةٍ غزاها.

[وذكر القاضي أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي، ويعرف بابن شداد قاضي حلب ـ رحمه الله ـ في سيرة صلاح الدين، وقال: إنما بدأ صلاح الدين بالكرك والشوبك لأنهما في طريق الديار المصرية، وكانوا يغارون على القوافل منها، فقصد

(١) نوع من حمر الوحش المخططة، نسبة إلى العتابيين، إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها، اشتهرت بالنسيج المخطط، ومن ثم كان هذا النوع من الحمير يوصف بالعتابي تشبيهاً له بهذا النسيج، انظر «وفيات الأعيان»: ٤/ ٣٨٩، و«تكملة المعاجم العربية» لدوزي (الطبعة الفرنسية): ٢/ ٩٣.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في «الروضتين»: ٢/ ٢٣٩: ويفلل أسلحتهم.

تسهيل الطريق ليصل البلاد بعضها ببعض، فحصرها هذه السنة، فلم يظفر منهما بطائل، وتأخر فتحهما إلى ما بعد الفتوح][1].

وعاد نور الدِّين إلى المَوْصل، وقطع الفرات، وقصَدَ بلاد الرُّوم؛ وسببُه أنَّ عزَّ الدين قليج رسلان صاحب الرُّوم كان قد تعرَّض لبلاد نورالدِّين محمد بن قرارسلان ابن أُرْتُق صاحب آمِد، فسار نورُ الدِّين في نجدته.

وقال ابن الأثير: إنما سار نورُ الدِّين إلى بلاد عِزِّ الدين قليج رسلان بن مسعود بن قليج رسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بسبب ذي النُّون بن الدَّانِشْمَنْد صاحب مَلَطْيَة، كان قليج رسلان قد أخرجه منها ومن سيواس، فأرسل إليه نورُ الدِّين يشفع فيه، فلم يجبه، ففتح نورُ الدِّين بَهَسْنى، ومَرْعَش، وقلاعاً من أعمال قليج رسلان، وبينا هو على ذلك جاءه خبرٌ من حِمْص بأنَّ الفرنج نزلوا عليها فرجع إلى الشَّام ومعه ابن الدَّانِشْمَنْد، ووعده بخلاص قلاعه، ولما أخذ نورُ الدين مَرْعَش وبَهَسْنى والمَرْزُبان وغيرها، خاف منه قليج رسلان، فأجابه إلى ما أراد، ورَدَّ بلاد ابن الدَّانِشْمَنْد، وشَرَطَ عليه نورُ الدِّين تجديدَ إسلامه لأنه كان يُتَّهم بالزَّنْدقة، وأنَّه متى طلب منه العساكر ينجده وأن يزوِّج ابنته بابنِ أخيه سيف الدِّين غازي صاحب المَوْصِل، ففعل، وبعثَ نورُ الدِّين فخر الدِّين عبد المسيح مع ابن الدَّانِشْمَنْد إلى مَلَطية وسيواس، ومعه عسكر يكون في خِدْمته، فأقام عنده حتى توفي نورُ الدين، ورجعتِ البلادُ إلى قليج رسلان[2].

وفيها قدم القُطْب النَّيْسابوري من حلب إلى دمشق، فدرَّس في الزَّاوية الغربية بجامع دمشق وبالمدرسة الأمينية، وقيل: لم يدرس بالأمينية[3].

وشَرَع نورُ الدِّين في بناء مدرسة للشَّافعية[4] إلى جانب الجاروخية، فأدركه أجله [دون بنائها][5] وقد وضع [نور الدين][4] المحراب وبعض البناء، وبقي أمرها على حاله، فجاء العادل أبو بكر بن أيوب، فأزال ذلك البناء، وبناها البناء المُحْكم، ودُفِنَ فيها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «النوادر السلطانية»: ٨٦-٨٧ .

(٢) انظر «الباهر»: ١٦٠-١٦١ .

(٣) في (م) و(ش): بعثه نور الدين يدرس بالمدرسة الأمينية وبالزاوية الغربية بجامع دمشق؛ زاوية الفقيه نصر، وقيل: لم يدرس بالأمينية بل بالزاوية الغربية.

(٤) هي المدرسة العادلية الكبرى.

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها بعث تَقيُّ الدِّين عمر [ابن أخي صلاح الدين][(١)] جيشاً إلى المغرب مع مملوكه يوزبا، فالتقاه عسكر ابن عبد المؤمن، فهزمه بعد أنْ أقامَ الدَّعوة العباسية بإفريقية، فعاد إلى القاهرة مهزوماً[(٢)].

وفيها وَصَلَ توقيعُ الخليفة إلى نور الدين بأوانا وصَريفين قريتين بدُجَيْل كانتا لأبيه زَنْكي، وعَزَمَ نورُ الدِّين على بناء مدرستين ببغداد أحدهما للحنفية والأُخرى للشَّافعية، وأن يوقف عليهما القريتين، فمات.

وفيها توفي

أيوب بن شاذي[(٣)]

ابن مروان[(٤)]، نجم الدِّين؛ والد صلاح الدين. كان عاقلاً، حازماً، شجاعاً، حليماً، رحيماً، جَوَاداً، عاطفاً على الفقراء والمساكين، محبًّا للصَّالحين، قليل الكلام جداً لا يتكلَّم إلا لضرورة، ولما قَدِمَ مِصْر سأله ولده صلاحُ الدِّين أَنْ يكون هو السُّلْطان، فقال: أنت أَوْلى.

[وكان يلعب بالأكرة دائماً، قال القاضي ابن شدَّاد: كان كثير الركض بالخيل، يلعب بالأكرة، ومن يراه يلعب بها ما يقول إلا أنه يموت من ظهر الفرس، و][(١)]، ركب يوماً من داره، وخرج من باب النَّصْر يريد الميدان، فشبَّ به فرسه، فوقع على رأسه، [فحمل على داره][(٥)] فأقام ثمانية أيام، وتوفي ليلة الثلاثاء السَّابع والعشرين من ذي الحِجَّة، ودُفِنَ إلى جانب أخيه أسد الدين في بيتٍ بالدَّارِ السُّلْطانية، ثم نقلا بعد سنين إلى مدينة النَّبيِّ ﷺ، وكان صلاح الدين قد عاد من الكَرَك، فبلغه خبره في الطريق، فحزن عليه، وتأسَّف حيث لم يحضره، وخلف من الذكور ستة: يوسف صلاح الدين،

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في سياقة هذا الخبر اختلاف، وذلك أن تقي الدين عمر أرسل سنة (٥٦٨هـ) غلامه قراقوش، فاستولى على طرابلس. أما يوزبا فأرسله سنة (٥٨٢هـ)، وقد أسر ثمة، انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٢٦٧، ٣/ ٢٥٦-٢٥٧ ، ٤/ ٢١٧ .

(٣) ترجمته في «الكامل»: ١١/ ٣٩٣-٣٩٤ ، و«الروضتين»: ٢/ ٢٤١-٢٦٠ ، «وفيات الأعيان»: ١/ ٢٥٥-٢٦١ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٩-٥٩٠ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٤) الصحيح في نسبه أنه لا يعرف له جد فوق شاذي. انظر «الروضتين»: ٢/ ٢٥٠ .

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش)، وانظر «النوادر السلطانية»: ٤٦ .

وأبا بكر العادل، وتورانشاه شمس الدولة، وشاهنشاه، وطُغْتِكِين سيف الإسلام، وبوري تاج الملوك[١]، وهو الأصغر، وشمس الدولة الأكبر، ومن البنات: ستَّ الشَّام، وربيعة خاتون.

الحسن بن أبي الحسن صافي[٢]

ملك النُّحاة، مولى حسين بن الأُرموي التَّاجر البغدادي.

ولد [ببغداد][٣] سنة تسع وثمانين وأربع مئة، وقرأ النحو [على أبي الحسن الاستراباذي الفَصيحي، وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني، وقرأ][٣] أصول الفِقْه والخلاف والمذهب والحديث، وبَرَعَ في النحو، وفاق أهلَ زمانه، وفُتح له جامع الخليفة، فدرَّس فيه النحو، ثم سافر إلى خراسان وكَرْمان وغَزْنة، وصنَّف الكتب في فنون العلوم، ثم دخل الشَّام، واستوطن دمشق، وله ديوان شعر [مليح][٣] ومدائح في النبيِّ ﷺ، فمنها: [من المنسرح]

يا خاتم الأنبياءِ قاطبةً ... أتاك لفظُ الثَّناءِ يَسْتَبِقُ
كنتَ نبياً وطينُ آدمَ مَجْـ ... ـبولٌ وتلك الأنوارُ تأتلِقُ
وعدتَ فينا تهدي إلى سُبُلِ الـ ... ـحقِّ فقد أُوضحتْ بكَ الطُّرُقُ

وقد وصفه العماد الكاتب[٤] بالكريم، فقال: كان يضمُّ من الذَّهب يده على المئة والمئتين، ويُمْسي وهو منها صِفْرُ اليدين، وكان يصنعُ الحلاواتِ ويُهديها إلى جيرانه وأصحابه وخُلَّانه، [قال][٣]: ووصل إلى أصبهان في سنة إحدى وأربعين [وخمس مئة][٣]، وعاد إلى دمشق، فعاش تحت ظلِّ نور الدين [محمود][٣] إلى أن مات.

---

(١) في (م): «تاج الإسلام».

(٢) له ترجمة في «تاريخ ابن عساكر»»: (خ) س: ٤/ ٤٣٧-٤٤٠، «خريدة القصر»، قسم شعراء العراق: مج١/ج٣/ ٨٩-١٣٧، و«معجم الأدباء»: ٨/ ١٢٢، و«إنباه الرواة»:»: ١/ ٣٠٥-٣١٠، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٩٢-٩٤، «إشارة التعيين»: ص٩١-٩٢، «العبر» للذهبي ٤/ ٢٠٤، «الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٥٦، «طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ٦٣-٦٤، «شذرات الذهب»: ٤/ ٢٢٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٤) في (م) و(ش): وذكره الحافظ ابن عساكر، ووصفه بالكرم فقال: كان يضم من الذهب يده على المئة والمئتين ويمسي وهو منها صفر اليدين.

ومن شعره يشكو من دمشق: [من الكامل]

لأُرَحِّلَنَّ مطيَّتي عن بلدةٍ ... شعثاءَ يُكرَهُ ماؤها وهواؤها
ولأزجُرَنَّ العِيْسَ عنها مُعْرِضاً ... إنْ أدركتني [1]دولةٌ ولواؤها
فإلامَ أُغضي في دمشق على القذى ... والأرضُ نازحةٌ بها أرجاؤها
أأُضامُ والأملاكُ ترجو أنْ ترى ... شخصي ولي في العالمين ولاؤها
إنْ لم أُثِرْ أنَفاً فلا أجْرَتْ يدي ... قلماً، به يُرْوي المعاليَ ماؤها[2]

وبلغ ابنَ منير أنه كتب إلى بعضِ القضاة: المجلس القاضوي، فقال يهجوه: [من المتقارب]

أيا ملك النَّحو والحاءُ من ... تهجِّيه من تحتُ قد أعجموها
أتانا قياسُكَ هذا الذي ... يُعَجِّمُ أشياءَ قد أعربوها
ولما تَصَفْعَنْتَ في القاضوي ... غدا وَجْه جَهْلِك فيه وجُوها
وقالوا قفا الشيخ إن الملوك ... إذا دخلوا قريةً أفسدوها[3]

فأجابَه: [من المتقارب]

أيا ابنَ منيرٍ حسِبْتَ الهجا ... ءَ رتبةَ فخرٍ فبالغتَ فيها
جمعتَ قوافيَ من ذا وذا ... وأصبحتَ منتحِلاً تدَّعيها
وقالوا قفا الشيخ إنَّ الملوك ... إذا أخطأتْ سوقةٌ أدَّبوها[4]

وله مقاماتٌ من جنس مقامات الحريري، هَزْلٌ وكذب، وله كتاب أربع مئة كرَّاسة سماه «التذكرة السفرية» وكان قد تزوَّج ببغداد امرأة بذيئة اللِّسان، فكانت تسفه عليه، [فقالت له يوماً: أنا امرأتك، زوج مَنْ أنتَ؟][5].

وكان يغشى وزيرَ الخليفة، فمدحه في بعض اللَّيالي بقصيدة فأمر له بجائزة سنية، وخِلْعة، فقال: ما أُريدها، فقال الوزير: وما الذي تريد؟ قال: لي امرأةٌ سفيهة، وقد فضحتني عند

(١) في «الخريدة»: «إن أقدرتني».
(٢) الأبيات في «الخريدة»: ١٢٤-١٢٥.
(٣) إشارة إلى سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٤) «الخريدة»: مج١/ج٣/ ١٣٥-١٣٦.
(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الجيران بطول لسانها، وأُريد أن لا يبقى في هذا المجلس شمعة إلا وتحمل بين يدي إلى داري لعلَّها تكفُّ لسانها عني. فقال [الوزير][1]: الخِلْعة والبغلة والشَّمْع لك، فخرج وعليه الخِلْعة وتحته البغلة والشموعُ بين يديه، فلمَّا قَرُبَ من داره أمر غِلْمان الوزير، فصاحوا بين يديه. فأطلع الجيران من الزَّوازن والسُّطوح وامرأته في الجُمْلة، فبهتت، وكفَّتْ عنه [لسانها][1] بعد ذلك. [وقال الحافظ ابن عساكر: مات ملك النحاة بدمشق في شوال][2]، ودُفن بالباب الصَّغير، وكان صحيحَ الاعتقاد، كريمَ النَّفْس، وجاوز ثمانين سنة[3].

[قال العماد][1]: ورآه بعض [الصَّالحين من][1] أصحابه في المنام فقال [له][1]: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها [في أيام الدنيا. قلتُ: وما هي؟ فأنشدني][1]: [من المنسرح]

يـاربِّ هـا قـد أتـيـتُ مـعـتـرفـاً ... بـمـا جَـنَـتْـه يـداي مـن زَلَـلِ
مـلآنَ كـفٌّ بـكـلِّ مـأثـمـةٍ ... صِـفْـرَ يـدٍ مـن مـحـاسـن الـعـمـل
فـكـيـف أخـشـى نـاراً مـسـعَّـرةً ... وأنـت يـا ربّ فـي الـقـيـامـة لـي

[قال][1]: فوالله منذ فَرَغْتُ من إنشادها ما سمعتُ حسيسَ النَّار[4].

سَعْد بن علي بن القاسم [5]

ابن علي، أبو المعالي الكُتُبي الحَظِيري الحنفي.

والحَظيرة قرية بدُجَيْل [وقد ذكره الأئمة، وأثنوا عليه، فقال جدي في «المنتظم»][1]: كان فاضلاً، يقول الشِّعر [المليح والنَّثر الفصيح][1]، وله رسائلُ ومدائح، وكان من الذُّكاء على غايةٍ، وتوفي في صفر، ودُفِنَ بباب حرب، وكان دلال الكتب ببغداد.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): ومات بدمشق في الشوال، وما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) «تاريخ ابن عساكر»: ٤/ ٤٤٠ .

(٤) «الخريدة»: مج١/ج٣/ ١٣٧ .

(٥) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢ ، «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٤/ ٢٨-١٠٦ ، «معجم الأدباء»: ١١/ ١٩٤-١٩٧ ، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٢٦٦-٣٦٨ ، «سير أعلام النبلاء»: ٢٠/ ٥٨٠-٥٨١ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٥/ ١٦٩-١٧٠ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ٦٨ .

[هذا صورة ما ذكره جدي رحمه الله[١].

وذكره القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي في «تاريخه»، وقال: أبو المعالي الكتبي، وأثنى عليه ثناء كبيراً، وقال: صحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر مدَّة، واشتغل بالأدب حتى برع فيه، وفاق أهل زمانه، وقال الشعر، وتفقه على مذهب أبي حنيفة][٢] وغلبت عليه الفكرة، فأحبَّ الخلوة، فخرج على قدم التجريد سائحاً، ورأى عجائب [من الدُّنيا][٢]، وجال في الأقطار، وحجَّ، وعاد إلى بغداد، وصنَّف الكتب: «لُمَح المُلَح» في الألغاز، و«زينة الدَّهر في شعراء العَصْر»، وغيرهما.

[وذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وسجع له، وقال: أنشدني أبياتاً في وصف العِذار أرق من الاعتذار، وذكر مقطعات من شعره، وكلاماً فاحشاً يدل على أنه كان خليعاً ظريفاً، وأنشدني له في الشيب][٣]: [من الطويل]

بدا الشيب في فَوْدي فأقصَرَ باطلي ... وأيقنت قطعاً بالمصير إلى قبري
أتطمَعُ في تسويد صُحْفي يدُ الصِّبا ... وقد بيَّضَتْ كفُّ النُّهى حُسْبَةَ العُمْرِ[٤]

وقال: [من المنسرح]

صُبْحُ مشيبي بدا وفارقني ... ليلُ شبابي فصحتُ واقَلَقي
وصرتُ أبكي دماً عليه ولا ... بُدَّ لصُبْح المشيبِ من شَفَقِ[٥]

وقال: [من الطويل]

أرى ذا النَّدى والطَّوْلِ يغتاله الرَّدى ... ويُبقي الذي مافيه طَوْلٌ ولا منُّ
كما الورد يبدو في الغصون وينقضي ... سريعاً ويبقى الشَّوْكُ ما بقي الغُصْنُ[٦]

وقال: [من الطويل]

---

(١) «المنتظم»: ١٠/ ٢٤١-٢٤٢.
(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٣) في (ح): وقال في المشيب، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٤) «الخريدة»: ٤/ ٤٣.
(٥) المصدر السالف.
(٦) «الخريدة»: ٤/ ٤٤-٤٥.

يقولون لا فَقْرٌ يدوم ولا غنى وما كُرْبةٌ إلا سيتبعها كَشْفُ
ولستُ أرى فقري وضُري بمنقضٍ كأنّي على هذين وحدهما وَقْف[1]

وقال في خُطْبة كتاب «لُمَح المُلَح»: هذا كتابٌ أَحكمتُ أُصوله، وأَبرمتُ فصوله، خدمتُ به خزانةَ إمام الزَّمان، وتالي القُرْآن، وصاحب القرآن، الإمام الأوَّاه، المقتفي لأمر الله، الذي لم يكن في خليقةٍ مِثْلَه خليفة، وكلّ طريقةٍ منه طريفة، فكم من قطرةٍ من سحابِ مبتدعاتِ كَلِمِه جمعتُها في قرار واديه، ودرّة من سحاب توقيعات قلمه رصَّعْتُها بين صغار لآليه، إمامٌ يواقيت مناقبه عالية عن مطمح مُشْتام، غالية على مطمع مستام، أعلق شهابَ العَدْل فتسعَّر لَفْحه، وأغلق بابَ الظُّلْم فتعسَّرَ فتحه، واستقامتِ الأقاليم بأقلامه، واستغنت الأيامى في أيامه، وأحيا محيَّاه وارفةَ عَدْلِهِ.

[من الهزج]:

وذي زيغٍ أعدَّ لـه فحين أتاه عدَّلَهُ
وجادلـه فجادلـه فجدَّ لـه فجدَّ لَهُ
إمامٌ مَنْ تأمَّلـه لكَشْفِ الضّر أَمَّلَهُ
يرى من نَسْلِ عَبَّاسٍ طليق الكَفِّ مُرْسَلَهُ

ينحو الصَّواب قولاً وآراءً، ويصوِّب في الإباء طولاً وعطاء، جَمَعَ أشتات الفضائل، وقطع أسباب الرَّذائل، وأجار الأنام من جَوْر الأيام، وبلغ الأوطار، كم غاش لذكره عاشٍ إلى ضوء ناره، عاشٍ بمبارّه، فلا زالت رياض ناديه ممرعة الرُّوَّاد، وحياض أياديه مترعة للوُرَّاد، ما تثنى عود ورسا عمود، واهتزَّ عامل بُسْتان، واعتز عامل بسُلْطان، وحبست شياطين جوارحه الكائدة استسلاماً، وحبست سلاطين جوارحه الصائدة آثاماً، كمن كَرَعَ في رياض المنى صادياً، ورتع في غياض الهوى متمادياً.

---

(١) «الخريدة»: ٤/ ٤٥ مع اختلاف في بعض الألفاظ. وفي (م) انتهت ترجمته، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تم الجزء الثالث عشر من «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» لابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه، ووافق الفراغ من نسخه في العشر الآخر من رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وسبع مئة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بالتقصير إبراهيم بن عبد العزيز، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الرابع عشر «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» السنة التاسعة والستون وخمس مئة.